السموات جسماً عظيماً هو العرش المحيط بسائر الاجسام وقد يطلق العرش ويراد به الملك يقال فلان على
عرشه اى على ملكه وقد يطلق على البناء كما فى قوله تعالى وكان عرشه على الماء اى بناؤه والمعنى انه تعالى
بنى السموات والارض على الماء ليعرف العقلاء كمال قدرته ونفاذ مشيئته وان الخلائق يبنون بناءهم
على المواضع الصلبة البعيدة من الماء لئلا ينهدم ومن بنى مثل هذه الاجرام العظام على الماء كان فى
غاية العظمة وكمال القدرة فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه عارشا قال الله تعالى ومما يعرشون اى يبنون
والمشهور عند جمهور المفسرين ان المراد من العرش المذكور فى هذه الآية هو الجسم العظيم المحيط للعالم قالوا
فقوله تعالى ثم استوى على العرش ولا يمكن ان يكون الله تعالى خلق بعد خلق السموات والارضين بدليل قوله تعالى فى آية
اخرى وكان عرشه على الماء وذلك يدل على ان وجود العرش سابق على تخليق السموات والارض ولا يتوهم ايضا ان استواءه
على العرش كونه معتمدا عليه مستقرا فوقه بحيث لولا العرش لسقط ونزل لان ذلك مستحيل فى حقه تعالى لاتفاق
المسلمين على انه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ له ولا يحتاج الى شئ مما سواه بل المراد لكونه تعالى على العرش
والله اعلم الاستواء عليه بالقهر ونفاذ التصرف وخص العرش بالاخبار عن الاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات
قال الشاعر استوى على العراق من غير سيف ودم مهراق قوله يدبر الامر حال من فاعل استوى او مستأنف
لا محل وقيل المراد بالعرش البناء وقوله تعالى خلق السموات والارض اشارة الى تخليق ذواتها
وقوله تعالى ثم استوى على العرش اشارة الى تسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لمصالحها وما خلقت
هى لاجلها وغير ذلك من الامور المعتبرة فى تعريشها وان قيل المراد بالعرش الملك يكون استواءه
تعالى على الملك عبارة من وجود الاحوال المتجددة فى ذوات السموات والارض كدوران الافلاك
والكواكب وحصول العناصر الاربعة والاحوال المختلفة بسبب ذواتها قوله مصدر مؤكد لنفسه لكونه
تاكيدا وجمعا لمضمون قوله تعالى اليه مرجعكم ولا محتمل لتلك الجملة غير كونه وعدا بخلاف كونه حقا
فانه ايضا وان كان تاكيدا لمضمون تلك الجملة الا انها لا محتمل غير المحققة قوله ليجزى متعلق بقوله ثم
يعيده وبالقسط متعلق بيجزى ويجوز ان يكون حالاً من الفاعل اى يجزيهم ملتبسا بالقسط ومن المفعول
اى ملتبسين بالقسط وهو العدل واليه اشار المص بقوله اى بعدله او بعدلهم وعدم ظلمهم انفسهم
بارتكاب المعاصى قوله لكنه غير الاسلوب حيث لم يورد الجملة الثانية على صورة تعليل الابتداء والا لما
مجازاة الكفر بشراب من حميم وعذاب اليم بالابتداء بقوله والذين كفروا واخبر عنه بالجملة التى
بعده وان احتمل ان يكون قوله والذين كفروا منصوب المحل بالعطف على الموصول قبله
وتكون الجملة التى بعده مستأنفة لبيان جزائهم لكنه خلاف الظاهر ووجه ما ذكره من التنبيه
انه تعالى ادخل لام التعليل على الثواب ولم يدخلها على العقاب بل قال والذين كفروا لهم شراب من حميم فدل
ذلك على انه تعالى خلق الخلق للرحمة لا للعقاب والحاصل انه تعالى غير الاسلوب [illegible] جعل



جعل المعطوف جملة اسمية والثانى انه لم يدخل لام التعليل على العقاب والثالث انه لم يعين نوع المؤمنين
وعين عقاب الكافرين واشار المص الى وجه كل واحد من وجوه التغيير قوله ويجوز ان يكون منصوبا
او مرفوعا عطفا على قوله لانه ذكر لقراءة انه يبدأ الخلق بفتح الهمزة ثلث احتمالات الاول ان يكون مبنية
على حذف لام الجر [illegible] ان يكون فى محل النصب بالفعل الذى نصب [illegible] وعد الله وعدا بان الخلق [illegible]
والمعنى ان اعادة الخلق بعد بدءه والثالث ان يكون فى محل الرفع بالفعل الذى نصب [illegible] بدء الخلق [illegible]
قوله اى ذات ضياء فقدر المضاف لان الشمس ليست نفس الكيفية التى تسمى ضوءا وكذا القمر ليس
نفس النور ويحتمل ان يكون من باب تسمية الذات بالمصدر للمبالغة كما يقال للكريم انه كرم وجود
كما اشار اليه بقوله وسمى نورا للمبالغة لكن الظاهر ان [illegible] او سمى [illegible] وضياء مفعول ثان
لجعل ان كان من الجعل بمعنى التصيير وحال من الشمس ان كان جعل بمعنى خلق قوله على التغليب تقديم اللام
على العين [illegible] الواو طرفا بعد الف زائدة فقلبت همزة كما فى كساء قوله وهو اعم من الضوء فان
النور اسم لاصل الكيفية الظاهرة فى نفسها المظهرة لغيرها مع قطع النظر عن كونها قوية او لا
والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية وقيل الضياء اقوى من النور
لان الضوء ما بالذات كالكيفية التى على الشمس والنور ما بالعرض كالكيفية التى على وجه الارض
وما بالذات اقوى قوله اى قدر مسير كل واحد منهما منازل فمنازل منصوب على انه ظرف كان وعلى ان
يكون [illegible] مفعولا ثانيا لتضمين قدر معنى صير قوله وافراده لرجوع ضمير قدر الى القمر خاصة
فان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس وانما يعرف بالشمس اوقات الصلوة ودوام الفصول
الاربعة التى ينتظم بها مصالح معاش العالم ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة وهذه المنازل
مقسومة على الاثنى عشر لكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منزلا منها ويستتر ليلتين
ان كان الشهر ثلثين ليلة وليلة واحدة ان كان الشهر تسعة وعشرين قوله وقرأ ابن كثير وحفص
وهما ابو عمرو ويعقوب [illegible] بياء الغيبة جريا على اسم الله تعالى ما خلق الله ذلك المذكور
واما قوله بنون العظمة فالتفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم ومعنى التفصيل هو ذكر هذه الدلائل
الباهرة واحدة عقيب اخرى مع الشرح والبيان ثم انه تعالى لما اقام الدلائل الدالة على صحة القول بانه
لا اله الا هو الحكيم الرحيم وعلى صحة القول بالحشر والمعاد شرع بعده فى شرح احوال من يكفر بها فقال ان الذين
لا يرجون لقاءنا الاية ثم شرع فى شرح احوال من يؤمن بها فقال ان الذين آمنوا الآية قوله والغافلون
اى لا يكون من باب عطف الصفات بان يكون الموصول الثانى معطوفا على اسم ان اى ان الذين
لا يرجون وان الذين هم [illegible]
[illegible] خبر ان الذين قوله ومفهوم الترتيب [illegible] على الموصول الاول [illegible] مجموع الامرين

Copyright © King Saud University